قراءة لكتاب الحياة السياسية: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط للدكتور آصف بيات

حسين سالم مرجين/أستاذ /قسم علم الاجتماع جامعة طرابلس

أمين الرابطة العربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

صدر الكتاب عن دار المركز القومي للترجمة -القاهرة سنة (2014)، وكتاب للدكتور آصف بيات، بعنوان:" الحياة السياسية: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط؟ ويقع الكتاب في (600) صفحة، ترجمة الدكتور أحمد زايد، والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التي نشرها الكاتب في عدد من المجلات العلمية خلال الفترة الممتدة من 2000- 2009. والهدف من هذه القراءة التعريف ومناقشة الكتاب، والبحث والكشف عن الأزمات التي تعيشها المنطقة العربية، وبشكل خاص الدول الحراك العربي ما بعد 2011م، يسعى الدكتور آصف بيات من كتابه المذكور التأكيد على أهمية دور الفئات الحضرية المهمشة في عملية التحول السياسي والاجتماعي، وهو يتجاوز المداخل السوسيولوجية التي عملت على دراسة هذا الدور، ليقدم منهجية نظرية أسماها بالزحف الهادئ للمعتاد.

تقوم وحدة التحليل الأساس لآصف بيات على مفهوم اللاحركات الاجتماعية بوصفها أداة لوصف الحراك الشارع العربي، ويعد الكاتب من ضمن طراز معين من الباحثين الذين يمتلكون روح المغامرة البحثية.

وتمت عملية قراءة هذا الكتاب من خلال تدوين بعض الملاحظات والاستنتاجات، التي لا تقلل من أهمية وقيمة الكتاب، إنما بذلك نؤكد مقولة بأنه لا توجد قراءات حاسمة ونهائية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي خاضعة دائما للمراجعة والتطوير، لكنها قراءات قد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة في مستوى الفهم.

1. قبل الولوج إلى رصد أهم الملاحظات والاستنتاجات، أود أن أوضح للقارئ المنهجية المتبعة في هذه القراءة، وهي:
2. توضيح أهم الأفكار والمقولات التي طرحها الكاتب،
3. تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف،
4. تدوين بعض الملاحظات والاستنتاجات.

- في الفصل الأول تحت عنوان " فن الحضور " في الصفحة رقم (19)، يرى الكاتب بأن منطقة الشرق الاوسط سقطت في حالة عدم الاستقرار، حيث يقول بأن هذه المنطقة تعد " أكثر ثراء وأقل تنمية"، ويستطرد الكاتب في تشخيصه لهذه المنطقة كونها خارج التغيير، حيث يقول" هناك فكرة تقول بأن العالم كله تغير ما عدا الشرق الأوسط". في الحقيقة قد تكون هذه الفرضية غير مقنعة، فمنطقة الشرق الأوسط تموج بالأحداث والوقائع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولا تمر حقبة تاريخية معينة إلا ونجد العديد من تلك الوقائع والتغييرات.
- في الصفحة (27) يرى الكاتب بأن الممارسة السياسية النضالية والتغير الاجتماعي أحدثت تحولات سياسية، واجتماعية ملحوظة في المنطقة، وكانت جمعها ناتجة عن مساع نضالية منظمة اتخذت أشكالا متعددة بدءا من أفعال الاحتجاج الحادة، إلى الحركات الاجتماعية المستمرة إلى صور الحراك الثوري الكبير، يذكر منها على سبيل المثال الانتفاضة الفلسطينية 1987، ثورة الأرز 2005 في لبنان، حركة كفاية في مصر. وهنا أود التأكيد بأنه من لم يستطع فهم حقائق التاريخ والجغرافيا في المنطقة العربية فيما يتعلق بدورها وحركتها، فإنه لن يستطيع فهم وتشخيص تلك الحركات النضالية، حيث أجزم بأن لها أسبابها ومبرراتها المتنوعة، من الصعب وضعها في قالب واحد.
- في الصفحة (42) يُوضح الكاتب بأن " شوارع المدينة لا تعمل فقط بوصفها فضاء فيزيقيا تتشكل فيه الصراعات، وسبل التعبير عنها، أو فضاء تتشكل فيه الجماعات المترابطة وصور التضامن أو تبدي فيه سياسة الشارع، ولكنها تشكل فضاءات تحمل معنى رمزيا، يعبر عن المشاعر الجمعية للأمة والجماعة، وهذا ما أطلق عليه الشارع السياسي". لقد شدني تميز تحليل الكاتب لمفهوم الشارع السياسي، وحسب اعتقادي فإن هذا المفهوم من أهم ما سجله الكاتب في تشخيصه للفضاء العام ودور المهمشين فيه، وهي تعد محاولة تقييم لمعرفة أين الفضاء العام والمهمشين؟ وأين هم وماذا يريدون؟ وما المناخ الذي يتحرك فيه الفضاء؟ وكيف يستطيع التحرك؟
- كما يرى الكاتب في الصفحة السابقة بأن حيوية حراك الشارع العربي " استنفدت في أنشطة ذات نزعة قومية، أو ذات نزعة معادية للاستعمار، وذلك على حساب النضال من أجل الديمقراطية في الداخل". وهذا الأمر ليس بالغريب طالما أن التسلط والاستبداد هو الجزء الأساس، والمكون لطبيعة السياسية لجل الأنظمة العربية، كما أننا لا نقلل من أهمية طرح الكاتب، حيث يعد مهماً جداً، غير أنه يفتقر إلى التشخيص العميق والتحليل الدقيق.

- بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى عنوان آخر وهو مفهوم " اللاحركات اجتماعية"، حيث يعرفها بأنها " أعداد من الناس العاديين الذين تؤدي أنشطتهم المتشابهة والمتفرقة في الوقت نفسه إلى إحداث تغيير اجتماعي كبير، حتى وإن لم تكن هذه الممارسات موجهة بأيديولوجية أو بقيادات معترف بها أو بتنظيمات". فالكاتب يطرح مفهوم النضالات اليومية للفئات الحضرية المهمشة كونها " اللا حركة"، حيث يجمع صور النضال وتنوعاته كلها، ويقدمها في صياغة مفهوم " اللاحركة" وهي تعني كل صور النضال اليومي التي تتم بشكل فردي، ولكنها تتحول إلى سلوك جمعي ويجمع بينها أنها تتجه إلى استهلاك كل ما هو عام، والحضور الفيزيقي الذي يخلق صراعا بين الافراد وبين الدولة.

- يعمق الكاتب في تحليل مفهوم " اللاحركات" في الصفحات 47 – 67 من خلال ربط ذلك المفهوم بالأيكولوجيا الحضرية، وبشكل خاص في المدن الرئيسة، وبأنها صور من النضال من أجل العيش، ومن أجل التكيف مع البيئة الحضرية المعقدة، في ظل وجود صور الاستبداد السياسي، والهيمنة الاجتماعية، والثقافية، قد أتفق مع الكاتب في طرحه وتشخيصه حول صور تلك النضالات اليومية، وربطها بالإيكولوجيا الحضرية، ولكن هناك سؤال قد يبرز من فوق السطح وهو: إن النضالات قد تبدو في ظاهرها متساوية أو ذات طبيعة واحدة، لكن في باطنها - في حقيقة الأمر- يوجد بينها تفاوت من حيث طبيعتها أو عمقها أو تساعها، وهذا الأمر لم يتطرق إليه الكاتب في تشخيصه للحياة اليومية لتلك المجتمعات. فالكاتب اعتمد في تحليليه على نهج القالب الواحد الذي يصلح للجميع، حيث وضع مدن الحضرية في منطقة الشرق الأوسط خاصة القاهرة، وطهران في قالب واحد، بحيث كانت النتائج تصلح للجميع، والسؤال الذي يطفو على السطح هنا: هل "الهابيتوس" التي يتحدث عنها الكاتب لدى الأفراد في مختلف مدن الشرق الأوسط واحدة ، وهذا يعني هل من المنطقي أو الصحيح أن نعتقد بأن الاستعدادات والإدراكات الشخصية التي يكتسبها الأفراد عبر النضالات اليومية في الإيكولوجيا الحضرية، التي تتحول بمرور الوقت إلى بنيات منظمة للسلوكيات ستكون واحدة، في مختلف المدن الحضرية بمنطقة الشرق الأوسط .

- ويسترسل الكاتب في تحليل مفهوم " اللاحركات " بشكل متميز حيث يقول بأن " منطق الممارسة في اللاحركات تتوجه إلى الفعل وليس إلى الايديولوجية" كما أن "المطالب تكون فردية وليست مطالب معبرة عن جماعات منظمة" بالتالي فأنه يرى بأن " الضغط على الحكومة يتم بشكل مباشر ومتنوع" من خلال " ممارسات اعتيادية للحياة اليومية، الممارسات ينجزها الملايين من الناس وإن كان متفرقين هنا وهناك". ويوضح الكاتب بأن فهم قوة "اللاحركات" لا تكمن في

وحدة الفاعلين، إنما في قوة الاعداد الكبيرة، الذين يعملون نفس الشيء بشكل دائم ومستمر. وهنا يؤكد الكاتب بأنه لا يمكن الإلمام بمفهوم " اللاحركات " خارج دائرة الايكولوجيا الحضرية.

- يستمر الكاتب في عملية تحليل مكانيزما عمل " اللاحركات " من خلال تساؤل يستحق الوقوف عنده، وهو: لماذا تكون اللاحركات هي الشكل الأكثر انتشارا للنشاطية من سياقات اجتماعية، وسياسية، في مجتمعات الشرق الاوسط؟ وأجزم بأن سبب طرح مثل هذا التساؤل يكمن في السعي الحثيث من قبل الكاتب لفهم أسباب ودلالات مفهوم " اللاحركات"، فضلا عن أهمية استيعابها من قبل الباحثين والمهتمين، كما أنها تأتي في سياق محاولة تقييم الوقائع المعيشة، أين اللاحركات؟ وماذا تريد؟ وما المناخ الذي تتحرك فيه؟ وكيف تستطيع التحرك؟ يجيب الكاتب عن التساؤل المطروح من خلال سرد عدد من المبررات، هي: عدم تسامح الدول التسلطية مع أي اعتراض منظم ومستقل، وقيام الفئات المهمشة بإدارة قضاياها بنفسها، وتغيب هيمنة الدولة أو سلطة توقيع العقاب، وأن عبقرية الأفراد المهمشين – اللاحركات – تكمن في اكتشاف القدرة على اكتشاف هذه المخارج والثغرات.

- ويصل الكاتب إلى طرح مفهوم جديد وهو "فن الحضور" هو " اللحظة الأساسية في حياة اللاحركات، أي في الحياة بوصفها سياسة، فقصة اللاحركات هي قصة الفعل الاجتماعي في أوقات الشدة". أعتقد بأن الكاتب أراد من هذا التحليل الولوج إلى محصلة مفادها بأن " اللاحركات " تمثل قوة ضغط هائلة دون أن يكون لها جذور في العمل السياسي واصلة إلى الأعماق، وهذا ما أسماه فن الوجود أو الحضور. فالفئات المهمشة في المدن الحضرية حسب تحليل الكاتب لديها إحساس أيكولوجي سياسي بكل حدودها، فيكون كل فضاء مشغول بهمومه ومشاكله.

- ينتقل بنا الكاتب في الصفحة (69) إلى الفصل الثاني ،تحت عنوان " تحول الشرق الأوسط العربي تشريح وثيقة"، يقول الكاتب " الشرق الأوسط وكأنه دخل في طريق مسدود لا يستطيع أحد أن يتنبأ بالخروج منه إلا النزر اليسير"، كما يرى بأن " الدول العربية دولا غنية أكثر منها دولا متطورة" فهي " نظم تسلطية لها علاقات قوية بالغرب، تتحدى صيحات التحول الديمقراطي والمحاسبية"، كما "تضافرت عدد من الظروف السياسية والاجتماعية التي تدعم الفكرة السائدة حول استثنائية الشرق الأوسط ، فله خصوصية على أنه كيان ثقافي لا تنطبق عليه الأطر التقليدية في التحليل". والحقيقة فإن الكاتب يتحدث هنا عن وجود ازدواجية أو ثنائية المعايير للدول الغربية في المنطقة العربية، فالغرب يدعم النظم الاستبدادية، وفي الوقت نفسه يغض الطرف عن أي اختيار مجتمعي يتعارض مع مصالحه.

- ينتقل بنا الكاتب إلى عنوان آخر في الباب الأول وهو " اللاحركات اجتماعية"، ففي الصفحات (95-100) يأتي الفصل الثالث تحت عنوان "الزحف الهادئ المعتاد" ، حيث بين الكاتب بأن "العولمة أدت إلى تحول تاريخي من نظم اشتراكية وشعبوية إلى سياسات الاشتراكية الليبرالية عبر الإصلاح الاقتصادي وبرنامج التكيف الهيكلي"، وهذا الأمر حسب وجهة نظره قد أدى إلى " تحلل كثير من جوانب التعاقد الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية في دولة الرفاهية، ومن هنا كان على الملايين من أبناء شعوب الجنوب الذين اعتمدوا من قبل على الدولة كان عليهم الآن أن يعتمدوا على أنفسهم لكي يظلوا على قيد الحياة" . أحسن الكاتب في تحليله إلى ترديات أو فجوات التي أحدثتها العولمة، حيث واجهت المنطقة العربية العولمة دون أي استعدادات، أو خطط جماعية أو فردية؛ للتعامل مع إكراهاتها وتحدياتها. كما يرى الكاتب بأن " إعادة البناء الجديد للجماعات المهمشة -في ظل العولمة -الذي صاحبه ظهور جماعات تتمتع بدرجة عالية من اليسر الاقتصادي أدى هذا البناء الجديد إلى ظهور قدر من النمو للجماعات المهمشة وغير المنظمة في مدن العالم الثالث" وأطلق عليهم " مهمشي الحضر وفقراء الحضر". ويحلل الكاتب آليات عمل هذه الجماعات بأنها " تعيد إنتاج فضاء اجتماعيا، ومن ثم صورا من النضالات السياسية لا تستطيع النظريات المعاصرة أن تفسرها في حد ذاتها". اقترح الكاتب نظرية بديلة أطلق عليها "الزحف الهادئ"، حيث يرى بأن الزحف الهادئ هو ما يمكن أن يكون أكثر قدرة على تفسير النشاطية من جانب الجماعات المهمشة في المدن في مجتمعات ما بعد الاستعمار". ويُفسر الكاتب الزحف الهادي بأنه " يشير إلى الأفعال غير الجمعية المباشرة، والتي تتسم بالنفس الطويل لأفراد وأسر متفرقين أثناء سعيهم لسد حاجاتهم الضرورية، وبطريقة غير قانونية هادئة "، ويحدد الكاتب ماهية الأفراد والأسر، حيث يقوم " هم الجماهير الغفيرة الفقيرة من سكان الحضر، تتمايز في دخلها ومكانتها ومهنتها وعلاقات إنتاجها، فإنها تشترك في مكان إقامة واحد وفي مجتمع محلي واحد، فالمكان المشترك والحاجات المرتبطة بالملكية المشتركة تمنح هذه الجماعات إمكان التضامن عبر المكان".
- بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى عنوان آخر وهو "الفقراء المقاومون" في الصفحات (111-120)، حيث يوضح الكاتب بأن تأسيس فكرة المقاومة قائمة على فكرة فوكو القائلة " بأنه توجد مقاومة حيثما توجد قوة ". قدّم الكاتب أدوات تفكيكية استطاع من خلالها تفكيك ماكنيزما عمل مقاومة الفقراء المهمشين، ويوضح بأن مقاومة المهمشين " تتكون في الغالب من أنشطة صغيرة، محدودة النطاق تظهر في الحياة اليومية، التي يكون بمقدورهم فعلها لكي يتعاملوا مع الكوابح السياسية المرتبطة بها، ثم يرى الكاتب بأن ذلك " يساعد نموذج المقاومة على الكشف عن درجة تعقيد علاقات القوة في المجتمع بشكل عام، والممارسة السياسية للمهمشين بشكل

خاص" كما يُبين بأن "الفعل الجمعي المنظم ليس ممكنا في كل مكان". وربط الكاتب بين درجة المقاومة بمدى إدراك ووعي الفئات المهمشة، ويغوص الكاتب في تشخيص مفهوم المقاومة من خلال طرحه تساؤلاً مهماً وهو: أن تكون المقاومة هي الدفاع عن مكسب متحقق بالفعل، أم تعني خلق مطالب جديدة؟

- في الصفحات (120- 129) وتحت عنوان "الزحف الهادئ المعتاد"، يتحدث الكاتب عن فكرة الزحف الهادئ، حيث يقول بأنها "عملية تقدم أو الزحف الهادي والبطيء، ولكنه الزحف المثابر للأفراد الاعتياديين نحو ما هو مملوك من قبل الآخرين، وما هو قوى، أي النطاق العام، وذلك من البقاء ومن أجل تحسين حياتهم" ويستطرد الكاتب في تحليله لمفهوم الزحف الهادئ، حيث يقول: هو" فعل جمعي مرحلي دون وجود أي صور من النضال السطحي أو المفتوح دون وجود قيادة، أو أيديولوجية، أو تنظيم محدد المعالم" فالفاعلون في هذا الزحف " يحاولون أن يوسعوا الحيز عن طريق كسب مواقع جديدة للتحرك فيها"، لذا لم يكن ذلك الزحف حسب وجهة نظر الكاتب مصادفة عابرة، بل كان نتيجة مترتبة على ازدياد " العمليات المكثفة من النضالات والمفاوضات بين الفقراء والسلطات والنخب في حياتهم اليومية " ، حيث " يحاول الزاحفون داخل هذه التجمعات إجبار السلطات على توفير الخدمات الحضرية في أماكن وجودهم، وذلك عن طريق السعي نحو الحصول على هذه الخدمات بشكل غير قانوني ودون دفع أي رسوم" ، بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى تبرير أفعال الزاحفين غير القانونية ،حيث يقول " إن الضرورة هي الفكرة التي تبرر أفعالهم غير القانونية باعتبارهم طرائق أخلاقية أو حتى طبيعية للحفاظ على الحياة مع الكرامة"، ويسترسل الكاتب في التشخيص والتحليل حيث يقول بأن" الممارسات الحياتية البسيطة تميل إلى نقلهم إلى مجال السياسات النضالية وهم يصبحون منخرطين أكثر في الفعل الجمعي، وينظرون إلى أفعالهم وإلى أنفسهم كأفعال سياسية عندما يواجهون بأولئك الذين يهددون مكاسبهم". كما يتطرق الكاتب إلى الخصائص البنيوية لعمليات الزحف حيث يقول هناك " خصائص أساسية في عملية الزحف الهادئ وهي أنها تتقدم بهدوء وبشكل فردي تدريجي وهي كلما تحركت على هذا النحو اتخذ الدفاع عن المكاسب شكلا جمعيا ومسموعا على الرغم من أن ذلك ليس هو الحال دائما"، وحتى يقرب الكاتب أهداف الزحف أكثر يشير إلى أنهم "يسعون إلى تحقيق هدفين إعادة توزيع الخيرات الاجتماعية والفرص، وتحقيق الاستقلال على المستوى الثقافي والسياسي عن التنظيمات والمؤسسات والنظام المفروض من قبل الدولة". والمفارقة السوسيولوجية اللافتة الانتباه التي يطرحها الكاتب في عمليات الزحف، هي " أن الفقراء لا يسعون إلى الاستقلال ولكنهم يحتاجون إلى الأمن أي التحرر من هيمنة الدولة".

- في الصــفحة (189-196) يعود الكاتب مرة أخرى إلى " الزحف الهادئ المعتاد "، حيث يشـخص الكاتب هذا الزحف يقوله إنه " التقدم الصـامت والحذر المسـتمر للأفراد الاعتياديين على ما هو مملوك للغير؛ سـعيا نحو البقاء وتحسـين الظروف "، كما يؤكد مرة أخرى بأن هدف هذا الزحف الهادئ " كســب مواقع جديدة للتحرك فيها، وإعادة توزيع الخدمات الاجتماعية"، ويحلل طبيعة هذا الزحف حيث يصــفه بأنه " خليط من الفعل المباشــر ذي الطابع الفردي والجمعي، وأنها تتحرك في ظرف اجتماعي ســياســي يرتبط بالدول التســلطية والأيديولوجية الشعبوية والروابط الأسرية القوية" ويبين بأنه على "المدى الطويل فإن استراتيجية الزحف تولد واقعا على الأرض، بحيث لا تجد الدول في الغالب أمامها من اختيار إلا الموافقة على الشـروط"، كما أوضح بأن " عملية الزحف البطيء بوصفها شكلا من أشكال النشاط السياسي السيال غير المنظم ، وتتميز بالمرونة وطلاقة الحركة ولكنها تفشــل في تطوير دعم قانوني ومادي وتنظيمي أو حتى أخلاقي" فيرى الكاتب بأن التحدي الذي يواجه هذا الزحف "يتمثل في تشــجيع نوع من التوائم بين العنصــر الحركي في عمليـة الزحف البطيء والقـدرة التنظيميـة للمنظمـات غير الحكومية وموافقة الســلطات المختصــة". أعتقد بأن جل ما طرحه الكاتب يُعاني من مســألة تعميم النتائج التي تطفو على ســطح العمل برمته، بالرغم من البراعة في التشـخيص والتحليل والربط المنطقي، إلا أن غياب تحديد مجتمع الدراسة بشكل واضح ودقيق، يمثل نقطة سلبية في عملية التشخيص والتحليل، فضلا عن كون بعض التحاليل تفتقر إلى الاستناد إلى الشـواهد الداعمة لذلك.
- بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى الفصـل العاشــر، ووضــع عنواناً رئيســاً لهذا الفصـل وهو "النزعة الكونية في الحياة اليومية"، حيث يوضــح الكاتب في الصــفحة رقم (375) بأن" النزعة الكونية تنتشــر لكي تتحدى لغة الانقســام والعداوة، ولكي تواجه التفوق الثقافي ونزعة التمركز حول السـلالة" وكذلك " تتجاوز النموذج القائم على التعددية الثقافية" للوصـول إلى "التعايش بالحدود الثقافية"، كما يؤكد الكاتب على أهمية النزعة الكونية في الحياة اليومية". أعتقد بأن ما طرحه الكاتب يســتحق التدبر والتفكير، وأجزم بأن العـالم أصــبح بحـاجة إلى مثل هذه الدراســات خاصــة في ظل اســتمرار تداعيات كورونا، التي أوضـحت وجود ظواهر كونية قادمة، وهذه دعوة لكل المختصـين في العلوم الاجتماعية والإنسـانية إلى وقفة جادة للتدبر حول أهمية هذه الدراسات.
- ينتقل بنا الكاتب إلى عنوان جديد في الفصــل الحادي عشــر وهو " الشــارع العربي" ، ويتناول الكاتب مقولة في الصفحة (422) لـ كوندليزا رايس تقول فيها " إن الشعوب العربية من الضــعف بحيث لا يمكن أن تطالب بالديمقراطية وأن الولايات المتحدة يجب أن تتدخل لكي

تحرر العالم العربي من الطغاة "، ثم ينتقل الكاتب إلى كشف وتشخيص الشارع العربي ليؤكد بأن الثورات العربية 2011 أوضحت " بأن الشارع العربي ليس شارعا ميتا أو لا عقلانياً كما يقال، إنه على النقيض من ذلك، قد شهد تحولات جوهرية بسبب الكوابح القديمة التي تعرض لها والفرص الجديدة التي اكتسبها في ضوء إعادة المنظومة العالمية، هذا الشارع قد تغير وأصبح أداة قوية للتغيير عن صور المعاناة الجمعية". أتفق تمامًا مع ما طرحه الكاتب من تحول الشارع العربي، حيث تبدلت الصورة النمطية للمجتمعات العربية إلى معان وتفسيرات جديدة.

- في الفصل الثاني عشر، يطرح الكاتب عدداً من التساؤلات في الصفحة (443) وهي: هل هناك مستقبل للثورات الإسلامية؟ هل تدفع العولمة بالدين وبالإسلام إلى قلب مسرح السياسة الثورية العالمية؟ ويبدأ الكاتب بالإجابة عن التساؤلات المطروحة بفرضية وهي أن" المستقبل في الشرق الأوسط الإسلامي من المحتمل أن يحمل في طياته تغيرا اجتماعيا وسياسيا يمكن أن نطلق عليه " ثورة إصلاحية بعد إسلاموية "، ويقول أيضًا " إن الاسلام يمكن أن يكون عاملا للثورة وهدفا لها في آن واحد، إنه يمكن أن يكون ليس فقط الذات الفاعلة في الثورة، ولكن يكون هو موضوع الثورة أيضًا" ينتقل بعد ذلك إلى عنوان آخر وهو " ما مستقبل الثورات الإسلامية" في الصفحة (465). حيث يؤكد الكاتب في الصفحة رقم (475) " بأن الثورة الإسلامية الإيرانية سوف تظل أول وآخر ثورة إسلامية في عصرنا الراهن". لعلي لا أتجاوز إن قلت أن الثورات العربية الحاصلة 2011م دحضت مقولة الكاتب، وهو ما اعترف به الكاتب لاحقا، بالثورة الإسلامية الإيرانية بدأت ثورة إسلامية، ثم من ثورة إسلامية إلى شيعة ثم تحولت من ثورة شيعية إلى شيعة إيران فقط، وربما أستعير مقولة أندريه موروا الذي يقول فيها " أن غير المتوقع يحدث دائما وأبعد الظنون أقربها إلى التحقيق"
- يأتي بعد ذلك الفصل الثالث عشر تحت عنوان " اللاصمت واللاعنف المسيرة ما بعد" في الصفحة (477)، ويتناول الكاتب في هذا الفصل موضوع الحركات الاجتماعية والتغيير السياسي، حيث يؤكد في الصفحة رقم (490) بأن " الحركات الاجتماعية يمكن أن تكون قادرة إذا ما تم التسامح معها من قبل النظم المعنية ويمكن أن تسيطر على قطاعات من السلطة الحكومية عبر الأدوات الانتخابية العادية"، كما يوضح بأنه " يمكن أن تتحول بعض الأفكار إلى سياسات عامة "، وكذلك يمكن "تقوية أسسها التنظيمية داخل نسيج المجتمع، وأن تتصل بشكل مباشر بالدوائر الانتخابية المهمشة". أتفق مع الكاتب في جل تحليليه عن الحركات الاجتماعية، لكن الأمر حسب وجهة نظري ربما كان بحاجة إلى ربط تلك المقولات بأمثلة وشواهد واضحة ومحددة تبين دلالات ومسارات الحركات الاجتماعية في منطقة الشرق الأوسط لتزيل بعض العتمة المضروبة حول ذلك الدور.

- ينتقل بنا الكاتب بعد ذلك إلى الفصل الرابع عشر تحت عنوان " الثورات العربية "، حيث يقول الكاتب "إن جل هذه الثورات لها قيادات منتشرة، وهي تشهد مشاركة كبيرة من جانب الشباب على أنهم أدوات الحراك جنبا إلى جنب مع الطبقة الوسطى الحضرية، والجماعات المهمشة والمسلمون الملتزمون بالإسلام، وأنهم جمعيا لهم مساع ديمقراطية". في الحقيقة من المفارقات الحاصلة في الثورات العربية هو تميزها بغياب القيادة، ولعل ذلك يعد من أهم أسباب عدم وضوح المجتمع التي كان أفراد المجتمع من المهمشين والطبقة الوسطى تسعى إليه.

- في الصفحة رقم (500) يطرح الكاتب سؤالاً مفتاحياً حول: الكيفية التي تنتشر بها الانتفاضات؟ وما سبب هذا التحول؟ وما الدور الذي لعبه الواقع الحضري في هذه الانتفاضة؟ ويحاول الكاتب الإجابة عن هذه التساؤلات بتوضيح أنه ليس هناك دور للإسلاميين في الثورة الليبية، حيث يقول " ليس هناك دليل على حضور الإسلاميين الانتفاضة " كما يقول أيضًا " إن هذه الثورات المدنية غير الدينية ذات الانتشار الواسع تمثل قطعية مع سياسية المنطقة". قد اختلف مع الكاتب حول هذه النقطة بالشواهد والوقائع التي تبين مشاركة الإسلاميين المتشددين في الثورة الليبية، ولعل من نتائج هذه الثورات هو صعود التيار الإسلامي وتحكمه في صنع القرار في عدد من دول الانتفاضات، كما أود القول بأنه من أراد أن يكتب عن ليبيا عليه أن يعيش فيها.

- في الصفحة رقم (506) يقول الكاتب " أصبحت مجتمعات الشرق الأوسط في العقدين الماضيين أكثر تحضرا وأكثر ارتباطا بالعولمة ، بدأت تدخل عناصر حضارية معينة نظم ووسائل اتصال في اختراق الريف "، ويوضح بشكل أكثر دقة بأن وسائل الاتصال الإلكترونية المتزايدة أدت" إلى تثوير صور الاحتجاج الجمعي، ووجود مجال عام لا يخضع للرقابة يتم فيه الاتصال على نحو مقصود، والمناقشة والتعبئة دون تحمل تكلفة اقتصادية أو سياسية، كتلك المتصلة بالتنظيمات التقليدية " أتفق مع الكاتب في كون التكنولوجيا الحديثة والثورة المعلوماتية واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي وانتشار الفضائيات والهواتف النقالة كان لها الدور في سهولة، وتوسيع مشاركة الفئات المهمشة، والطبقات الوسطى إلى الانتفاضات.

- ويصل الكاتب إلى محصلة نهائية تقول " لقد تضمنت الثورة العربية مشاركة كثيفة من الناس من مختلف المشارب، محتلين الميادين الحضرية ذهابا وإيابا ولقد كان بإمكان المحتجين في وجودهم المهيب في الشارع أن يدركوا وزنهم وأعدادهم الرهيبة". في الحقيقة يمكن القول بأن الأنظمة العربية أنتجت مجتمعات مهمشة من أهم سماتها الأساسية الفقر، والبطالة، والحرمان الاقتصادي، والسياسي، والثقافي، كما تلقت هذه الفئات صدمات

وإخفاقات أيديولوجية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية، عديدة فمن خيار الاشتراكية بخصوصياتها المعروفة إلى سياسات الخصخصة غير المدروسة ، فكان من نتائجها عجز الأنظمة العربية عن تحقيق أي من أهدافها المعلنة سواء أكانت العدالة الاجتماعية ،أم التعددية الديمقراطية، فكان الركود وافقار شرائح عديدة، وكان للعولمة وما حملته من تجليات كثيرة، كاختصار المسافات، وتطور وسائل الاتصال وانفتاح، العالم على بعضه بعضاً حيث كان لهذا الانفتاح الأثر الأكبر على المواطن وحقوقه سواء كانت الحقوق المدنية ،أم السياسية، أم الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية فإن إحداث تغييرات واسعة، حيث أصبح كل واحد يعيش في الساحة الخلفية للآخر أكثر مما كان عليه فى السابق، وأخيرا يمكن القول بأن هذه الثورات عبرت عن وجود قوة داخل المجتمعات العربية، تعمل على إعادة التوزان، خصوصا مع تزايد اختلال وإخفاقات الأنظمة الاستبدادية.

- يمكن القول بأن الكاتب سعى إلى نحت عدد من المفاهيم والمقولات الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط (الإسلامية – العربية) ومحاولة ربطها في إطارها التاريخي، وتأكيد هيمنتها على دول المنطقة خلال مرحلة ما بعد الاستقلال.
- بالرغم من كون الكاتب اعتمد على منهجية الملاحظة السوسيولوجية، المبنية على المعايشة المباشرة للظاهرة المراد دراستها، فإن بعض جزئيات هذا العمل اعتمدت على التحليل الوظيفي من خلال اكتشاف عمليات التواصل داخل المجتمعات نفسها، فضلا عن استخدم المنهج البنيوي حيث البحث عن مجموعة العناصر الخفية الكامنة وراء الظاهرة، وعلاقاتها المتشابكة.
- وختاماً يمكن القول بأن الكاتب استطاع إلى حد كبير الإجابة عن سؤال هذا الكتاب المهم وهو: كيف يغير بسطاء الناس المهمشين في منطقة الشرق الأوسط دولهم؟ وذلك من خلال امتلاكهم الإمكانات الخفية غير منظمة وتوظفيها في مرحلة ما نحو تحقيق ذلك التغير، إلا أن الكاتب افتقد أية رؤية استشرافية وأفكار وتصورات تنويرية تؤسس لبناء مجتمعات شرق أوسط المنشودة والقائمة على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحماية الحقوق، والحريات.